

كتاب

البصير بالتجارة

في وصف ما استظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة، والأعلاق النفيسة
والمواهر الثمينة

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري

عنى بشره وتصحيحه والتعليق عليه

العلامة السيد حسن حسني عبد الوهاب التونسي

لمساعدة أعضاء المجمع العلمي العربي

الناسخ مملوكة الخانجي بالقاهرة

الطبعة الأولى

١٣٥٠ - ١٩٣١

الطبعة الثانية

١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م

الطبعة الثالثة

١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

حقوق الطبع محفوظة لمكتبة الخانجي

الإيداع ٩٤/٣١٥

الترقيم الدولي

I-S-B-N

977-505-095-15

كتاب التبصر بالتجارة

للجاحظ
توطئة للناشر

الجاحظ بصري المولد والوفاة ، بالبصرة وُلد وبها شبَّ ودرج ، وفيها دوّن
غالب تأليفه .

ما بين نسفي القرن الثاني والثالث نبغ الجاحظ حينما كان « العراق عين الدنيا
والبصرة عين العراق ^(١) » ، وكيف لا تكون كذلك وهي عندئذ باب بغداد
الكبير ومدخل دجلتها المتدفق بضروب المتاع وأنواع السلع المجلوبة من أطراف
الدنيا ، نظير مرسلية اليوم بالنسبة الى فرنسا أو جوة لايطاليا وليقربول لبلاد
الأنكلير ، بل امتازت البصرة على تلك المراسي بنصيب أوفر وحظ أكبر إذ كانت
مقصد القوافل الواردة من كل حذب وصوب ، ومحط رحال الشرق والغرب ، من
مجاهل الصين الى مفاوز الصحراء الكبرى ، ولذلك استفحل بها العمران وكثرت
بها المصانع والصنائع وصارت واسطة العرب والمعجم وحق لها ان تنقلب
« بقية الاسلام » كما سماها عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) .
ناهيك ببلد جمع لحسن الموقع أصداد الأشياء وأشتات الأرزاق ومختلف
المكاسب والمطالب

(١) ثمار القلوب للثعالى ص ١٢٧ ومعجم البلدان لياقوت ٢ .

فاخر خالد بن صفوان البصرى ببلده لدى عبد الملك بن مروان فقال :
« يندوسا كنها قانصاً فيجى ، هذا بالشبوط والشيم ، ويجى ، هذا بالظبي والظليم ،
ونحن أكثر الناس عاجاً وساجاً ، وخزاً وديباجاً (١) . »
وباهى الجاحظ نفسه بمسقط رأسه فقال :

« ومن أتى وادى القصر بالبصرة رأى أرضاً كالكافور ، ورأى ضباباً تحتش ،
وغزلاً نأوساً وكأً وصياداً ، وسمع غناء ملاح في سفينته ، وحداً جمال خلف بعيره (٢) »
وقد قال الخليل بن احمد البصرى قبله (٣) :

زر وادى القصر نعم القصر والوادى فى منزل حاضر ان شئت أو وادى
تر به السفن والظلمان حاضرة والضب والنون والملاح والحادى
اشتهر أهل البصرة من قديم بالتطوح فى الآفاق والتراعى على الأسفار البعيدة
والضرب فى مناكب الأرض طلباً للرزق والتماساً للثراء ما جعل الجاحظ يصرح :
« بأنه ليس فى الأرض بلدة واسطة ولا بادية شاسعة ولا طرف من أطراف الدنيا
إلاً وأنت واجد به البصرى والمدنى (٤) » وقد اتفقت كلمة السامعين وأصحاب
الرحلات على بُعد همة البصريين فى الترحال وغورهم فى الاغتراب حتى قال
أبو بكر الهمداني - وناهيك به من خبير : « وأبعد الناس نجمة فى الكسب
بصرى وحميرى ، ومن دخل فرغانة القصى والسوس الأقصى فلا بد أن يرى
فيهما بصرياً أو حميرياً (٥) . »

(١) معجم البلدان لياقوت ٢ : ٢٠٤ (٢) ثمار القلوب ص ٤١٩

(٣) الكتاب المذكور ص ٤١٩ .

(٤) كتاب البخلاء (طبعة مصر سنة ١٣٢٣) ص ١٦٠

(٥) كتاب البلدان للهمداني (طبعة لندن سنة ١٣٠٢) ص ٥١

ومن البديهي ان من كان في ذكاء الجاحظ وفطنته العربية ووجه استطلاع الأشياء والبحث عن الجليل منها والحقير ، ويشاهد عياناً ما يجلب الى العراق من أطراف البلاد وما يصدر منه الى سائر الآفاق لجدير أن يفيدنا بكل حذق وتدقيق عن الأحجار الكريمة والأعلاق النفيسة والطرائف الثمينة والرياش الغالية وعن ماهيتها وأثمانها في عصره ، على أنه لم يكتف بمجرد ذكر المتاجر ومصادرها بل زاد في البيان فنبه على المعمول من الجواهر واليواقيت ، والمغشوش من العطور والعقاقير ، وفرق بين العالي منها والمتوسط والردى فأضاف الى الخبرة التفنن والى المعرفة التبصر ، وهو عين موضوع كتابه « التبصر بالتجارة » الذي نشره اليوم .

فلا عجب حينئذ أن اشتملت هذه الرسالة على فوائد جمّة تهتم أرباب الصناعة والتجارة كما تفيد المشتغلين بعلم الاقتصاد والباحثين عن علائق العالم الاسلامي زمن غزارة حضارته وعنفوان تمدنه مع بقية الممالك .

وهي لعمري إفادة ذات شأن ، ترشدنا إلى ما وصلت إليه عواصم الاسلام الكبرى - لا سيما بغداد - من التبخر في العمران وتوسع سكانها في وسائل البذخ والترّف . ما جعل تجارها في حاجة إلى توريد نتائج أطراف المعمورة وان عدت وركوب الأخطار والمشاغ في سبيل استجلابها وبدل النفس والنفيس في اقتنائها إجابة لرغبة الأغنياء وتسيدياً لشره النساء إما لتأثيث القصور أو لزينة ربّات الخدور !

نعم ! وضع المعتزون بتقويم البلدان من أبناء العربية تأليف عديدة هي عمدتنا الآن في معرفة العلائق التجارية قديماً وما احتض به كل صقع من أنواع النتائج ، منهم ابن الفقيه الهمداني ، وابن رسته الاصبهاني ، وأوزيد اللخمي ، والاصطخري ، وابن حوقل ، وابن الدشاري المقدسي وغيرهم من كبار الجغرافيين وأصحاب الرحلات ،

غير أنا لا ننس أن الجاحظ هو الذى فتح لهم باب التأليف فى تقويم البلدان وخصائصها وشرع لهم هذا المنهج ، فهم فى الحقيقة عيال عليه — وإن توسعوا بعد — ومقتنوا أثره ومقلدوه ، الأمر الذى جعل أحدهم — وهو المقدسى — يقول : « وإذا نظرت فى كتاب الفقيه فكأنما أنت ناظر فى كتاب الجاحظ ^(١) »

وهى لعمري شهادة اعتراف بأسبعية الجاحظ فى خوض هذا الميدان ، وليس هو بأول موضوع يطرقه ذلك المبدع الماهر بل البحر الزاخر الذى لا ساحل له .

حرر الجاحظ هذا البحث الاقتصادى برسم أحد كبار أحبابه ممن سبقت عنايته بالتأليف والاهداء اليهم ، فهو — وإن لم يسمه — أحد الأربعة : محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم ، وقاضى القضاة احمد بن أبى دؤاد ، والوزير الفتح ابن خاقان ، وإبراهيم بن العباس الصولى ؛ وأرانى فى غنى عن إثبات نسبة هذه الرسالة إلى الجاحظ ، وإن لم يأت ذكرها بين مصنفاته الواردة فى فهرست ابن النديم ومعجم الأدباء لياقوت ، لكن أبو منصور الثعالبي ^(٢) والعلامة النويرى ^(٣) تكفلا بتعريفنا بها ونقلها جملا منها بالحرف الواحد ونسبتها إلى مؤلفنا الكبير حسبما نشير إليه فى محله .

على أن « التبصر بالتجارة » ليس بأول كتاب للجاحظ لم يذكر من بين مؤلفاته فإن « خصائص البلدان له » — وهو غير « كتاب البلدان » — لم يرد اسمه بعد فى قائمة ما نسب إليه ياقوت فى معجمه وقد نقل عنه أبو منصور الثعالبي كثيراً ^(٤) .

(١) راجع كتاب « أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم » للمقدسى - طبعة ليدن سنة ١٨٧٧ ص ٢٤١ . (٢) « ثمار القلوب » (٣) « نهاية الارب » . (٤) « ثمار القلوب » ص ٤١١ و ص ٤٣٨ .

أجل ! كثيراً ما يستعمل الملاحظ ألفاظاً دخيلة في غضون مصنفاته وقد وقع جانب عظيم منها في رسالته هذه في التعريف بمسميات أجنبية ، وهو أمر متعارف جرت به عادة الكتّاب والمؤلفين في عصر الدولة العباسية ، فلطالما استعملوا اصطلاحات ومعربات جلها فارسي المأخذ لقرب بلاد ايران من العراق ، ولقد تتبع صديقنا ساكن الجنان العلامة أحمد تيمور باشا أثر بعض المعربات الواردة في كتاب « نشوار المحاضرة » للتوخى فمقد لشرحها فصولاً ممتعة نشرها في مجلة المجمع العلمي الدمشقية ^(١) .

وقد حاولنا شرح ما ورد ضمن هذه الرسالة من غريب الدخيل على قدر الاستطاعة والجهد ، وياحبذا لو توقع من أبناء العربية من يضع لنا معجماً لغوياً يوضح لنا به السبيل إلى فهم ألفاظ الدخيل والمصطلحات التي كانت مستعملة في القرون الوسطى الاسلامية مثلاً فعل المستعرب الهولاندى دوزى في « مستدركه على المعاجم العربية » ، وهي أمنية طالما أبداها كل من يعانى استقراء تصانيف الدور العباسي .

أما الاصل المنقول عنه فهو مثبت في ضمن مجموع خطى محفوظ بالمكتبة العمومية (مكتبة سوق العطارين) في حاضرة تونس ، وهذا المجموع يحتوى على أذكار وأدعية وذكر بعض الغزوات ، ثم رسالة حافلة في الخط وتصاريفه من تأليف الوزير العباسي الشهير أبي عبد الله على بن مقلة ، ثم كتاب « التبصر » هذا ، ثم شرح قصيدة أبي الفضل ابن النحوى التوزرى المعروفة بالمنفرجة من وضع الامام علاء الدين على بن جمال الدين البصرى الشافى نزيل دمشق ختمه

(١) تفسير الالفاظ العباسية ، مجلة المجمع العلمي العربى ، جزء تشرين أول سنة

خلال سنة ١٨٧٣ هـ ، وفيما يظهر أن كامل المجموع بخط يد هذا الشارح وهو خط شامى معتاد تغلب عليه الصحة إلا فى الأعلام والدخيل والمعربات : وبالرغم من بحى الشديد للوقوف على نسخة ثانية من كتاب (التبصر) فانى لم أظفر بها فاقصرت على اراد ماهو موجود هنا .

وقد بذلت جهدى فى اكساء هذا الأثر الجليل الثوب الذى يلىق به إحياء لذكرى واضعه الخالد ، وهو سبحانه ولى التوفيق .

المهدية الفاطمية (تونس) :
ح . ح . عبد الوهاب الصادحى

شعبان ١٣٥٠

وفى الصفحة التالية يرى القارى ذلك الأثر الجليل :

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

كتب أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري :
سألت أكرمك الله عن أوصاف ما يستظرف في البلدان من الامتعة الرفيعة ،
والأعلاق النفيسة ، والجواهر الثمينة المرتفعة القيمة ، ليكون ذلك مادة لمن حنكته
التجارب ، وعوناً لمن مارسته وجوه الكاسب والمطالب ، وسميته بكتاب «التبصر»
والله ولي التوفيق .

زعم بعض المحصلين من الاوائل أن الموجود من كل شيء رخيص بوجدانه ،
غال بفقده اذا مست الحاجة اليه .

وقالت الروم : اذا لم يرزق أحدكم في أرض فليتحول الى غيرها .
وقالت الهند : ما من شيء كثير الارخص ما خلا العقل فانه كلما كثر غلًا ،^(١)
وقالت العجم : اذا لم تربحوا في تجارة فاعتزلوا عنها الى غيرها ، واذا لم يرزق
أحدكم بأرض فليستبدل بها^(٢) .

(١) نسب أبو منصور الثعالبي هذه الكلمة إلى نصر بن سيار والى خراسان ،
لكنه أورد لفظ « الادب » بدل « العقل » (كتاب الاعجاز والايجاز - طبعة
مصر سنة ١٨٩٧ ص ٧٦) .

(٢) نقل أبو منصور الثعالبي جملا من الفصول التي أوردها الجاحظ هنا ولم
يعزها لاحد ولا شك انه اقتبسها من هذا التأليف ، قال الثعالبي في فصل « التجار
والسوق » من كتابه « التمثيل والمحاضرة » : إذا لم تربحك تجارة فاعدل عنها الى
غيرها ، وإذا لم ترزق بأرض فاستبدل بها - وقال : الراجح في كل سوق ، البائع لما
ينفق فيها - وقال : شاركوا الذي أقبلت عليه الدنيا فانه اجلب للرزق - وقال : من
اشترى ما لا يحتاج اليه باع ما لا بد منه ، ومن هنا يظهر أن ما نقله الثعالبي هو عين
ما أورده الجاحظ بتغيير قليل في اللفظ .

وقالت الفرس : الريح في كل سوق هو البائع لما ينفق فيها
وقالت العرب : اذا رأيت الرجل قد أقبلت عليه الدنيا فالصقوا به فانه أجلب للرزق .
وقيل لبعض المياسير : يم كثر مالك ؟ قال : ما بعت بنسيئة قط ، ولا رددت
ربحاً وان قل ، وما وصل الى درهم الا صرفته في غيرها ^(١) .
وكان يقال لا تشتروا ما ليس لكم اليه حاجة فيوشك ان تبيعوا ما لا تستغنون عنه .
وزعم بعض الحكماء انه وجد في وصية الفرس : أيها الانسان ليس بينك
وبين بلد انت به نسب ، فخير البلدان ما وافقك ^(٢) ، وخير الدهر ما أصلحك ،
وخير الناس من نفحك ، وخير الماء ما أرواك ، وخير الدواب ما حملك ، وخير
الثياب ما سترك ، وخير التجارة ما اربحك ، وخير العلم ما هداك ، وأحسن الحسن
ما استحسنته وان كان قبيحاً ؛ وكان يقال : خير الصناعة الخبز ^(٣) وخير
التجارة البرز .

باب معرفة الذهب والفضة وامتحانهما

قال الحكيم ^(٤) : يستحب من الذهب سبيكه وغير سبيكه ، وان يكون

- (١) كذا بالأصل وكان المؤلف أعاد الضمير إلى التجارة ولذا جعله مؤنثاً
- (٢) نقل الشريشي (شرح مقامات الحريري ١ : ١٠٢) وكذا الصفدي
(الغيث المنسجم شرح لامية العجم ٢ : ٧٦) هذه الجملة ولم يذكرها قائلها ، وكان
الجاحظ يشير إلى كلام عثمان بن عفان - رضى الله عنه - حين سئل عن كثرة أرباحه
فقال : لم أزد من ربح قط ولو قل (راجع كتاب البخلاء للجاحظ ص ١٦٢ .)
- (٣) بالأصل : الخرز - وأظنه تحريفاً من الناسخ والصواب : الخبز - لتحصل
القافية والمعنى . (٤) كثيراً ما يتبدى الجاحظ الكلام بقوله : قال الحكيم -
أو : قال - وفي ظني أنه لا يقصد بذلك إلا نفسه كما هو هنا ، يتضح ذلك لمن تتبع
تأليفه لاسيما كتاب الحيوان .

كنار خامدة وشعاع مركوم وكبريت قاني،^(١) وانما دامت دولته لانه لا تدحضه خبث الكبر ولا يفسده مرّ الدهور؛ وقيل انما صار الذهب ثميناً لقلّة تغيره وازدياد نضارته وحسنه اذا عتق ولأن الاشياء تنقص عند المس والدفن ما خلا الذهب فانه لا ينقص البتة .

وخير الدنانير العتق الحر الى الحضرة ، وزعم بعض الاوائل انما يتمحن الدينار بلصوقه الشعر واللحية وصعوبة استمراره فيهما ، والنهرج^(٢) من الدنانير يعتبر بخفته وثقله .

وزعموا ان خير الذهب العقيان وخير الفضة اللجين ، ومذاق الفضة الصافية عذب ، ومذاق الزيوف مرّ صدى ، والنهرج من الدراهم ما لح جرسى الطنين ، والفضة صافية الطنين لا يشوبها صمّم وهي تقطع العطش اذا مسكت في الفم .

باب ما يعتبر من الجواهر النفيسة ومعرفتها وقيمتها

زعموا ان معرفة جوهر اللؤلؤ انك تجد مذاقته على ضربين : عذب المذاقة عُمانية ، وملح المذاقة قلزية كلالهما يرسب في الماء ؛ والعمول منه تجده مرّ المذاق مع دسومة فيه وهو خفيف الوزن يطفو على الماء .

وزعموا ان اللؤلؤة اذا كان في باطنها دودة فانك تجدها حارة المص والمس

(١) هذا الوصف يشبه كثيراً ما ذكره المؤلف في كتابه الحيوان (ج ٥ ص ٣٣) حيث قال : واذا وصفوا حمرة الذهب قالوا ما هو إلا نار . . . وشعاع مركوم . . . وهو الكبريت الأحمر - ومن هنا يستدل على أن الجاحظ كثيراً ما يعيد الكلام بعينه في تصانيفه من غير أن يشعر بذلك ، وانه كان قليل المراجعة لما يكتب

(٢) النهرج - معرب نهره الفارسية - هو الدينار أو الدرهم المموء الزيف الردي (راجع كتاب شفاء الغليل للخفاجي وغيره) - وفي كتاب الخلاء للجاحظ (ص ٦٩) : دينار بهرج - وهو صحيح أيضاً .

فإن ذلك للعلّة النفسانية ، وإذا لم يكن بها دودة كانت باردة المص والممس وامتحنها بذلك .

وزعم البحرىون ان اللؤلؤ السكبار المتغير اللون تلف عليه الآلية الطرية المشرحة وتؤخذ فى جوف عجيين ويدخل التنور ويبالغ فى إحماه فانه يصفو ويحسن ويعود اليه الماء ، واذا نجر بكافور كان ذلك ، واذا عولج بمخ العظم وبماء البطيخ فانه يصفو .

ومعرفة اللؤلؤ اللحمى الجوهريّ من الصدفىّ العظمىّ هو ان الجوهريّ يكون مستوى الصورة ليناً أملس ، والعظمىّ يكون خشناً غير مستوى الهيكل .

وخير اللؤلؤ الصافى العمانىّ المستوى الجسد الشديد التدرج والاستواء ، واذا كانت حبتان متساويتين فى الشكل والصورة واللون والوزن كان أرفع لثمتها ؛ والعمانىّ أنفس وأرفع من القلزمى لأن العمانىّ عذب تقيّ صاف ، والقلزمىّ فيه ملوحة مع عيب كثير^(١) .

واذا بلغت الحبة نصف مثقال سميت درّة ، والمدحرجة المعتدلة فى التدور اذا بلغ وزنها نصف مثقال ربما بلغت فى الثمن الف مثقال ذهباً ، والبيضية دون ذلك فى الثمن ، واثمانها ترتفع على زيادة وزنها وتدحرجها ، واذا بلغ وزنها مثقالين ان شئت جعلت ثمنها عشرة آلاف دينار وان شئت مائة الف دينار ، والمدحرجة على هذا الوزن والصفة لا قيمة لها ، وهى فريدة ، وكلما كانت أصفى وأتقى كان

(١) على ذكر اللؤلؤ القلزمى قال أبو العباس احمد التيفاشى التونسى المتوفى سنة ٦٥١ فى كتابه «أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار» (خط بمكتبتى) : . . . وكذلك ما يوجد من الجواهر ببحر القلزم وسائر بحار الحجاز فردى ولو كانت الدرّة منه فى نهاية السكبر فانها لا يكون لها طائل فى الثمن إذ ليس فيها شىء من أوصاف الدر النفيس .

أرفع لثمتها وأنفس ، والدرّة اليتيمة قلمية ، زعموا ان وزنها ثلاثة مثاقيل ، والصغار من اللؤلؤ مرجانه (١) :

وخير الياقوت البهرمانى (٢) ثم الاحمر المورّد ، ثم الاصفر ، ثم الاسمانجوني (٣) وأدونه الابيض ؛ والياقوت من جبل سرنديب بالهند ، وتعرف اليواقيت من المعولات بخصال ثلاث : برزانتها فى الوزن ، وبرودتها فى الفم عند المص ، وعمل المبرد فيها ، لأن الياقوت حجر ثقيل الوزن بارد فى الفم بطن عمل المبرد فيه ؛ والمعمول منها يكون خفيف الوزن ، حار المص ، سريع المبرد فيه .

وخير الياقوت الصافى النقى المضى من أى لون كان ، وارتفاع القيمة على قدر كبرها وصغرها (٤) والياقوت الأحمر البهرمانى الصافى اذا بلغ وزنه نصف مثقال ربما بلغ فى الثمن خمسة آلاف دينار ؛

وكان وزن فص الخاتم الذى يسمى « الجبل » مثقالين قوم بمائة الف دينار

(١) قال التيفاشى فى كتابه المذكور : والمرجان فى لغة العرب صغار الدر وهو اللؤلؤ الدق ، واستشهد بأبيات لامرء القيس - وقيل أنه أول شعر قاله - منها :
فاعزل مرجانها جانباً وأخذ من درها المستجادا
ولفظ المرجان معرب عن اليونانية وأصله (Marginto) وفى اللاتينية (Margarita) وأطلق اسم المرجان فيما بعد على العروق الحمر التى تطلع من البحر ويتخذ منها الحلى والأعلاق والسبح (٢) البهرمان : فارسى معرب معناه أحمر اللون ، قال التيفاشى : والياقوت البهرمانى هو أحمر نقى الحمرة لاتشوبها شائبة ، والبهرمان اسم العصفور وبه سمي هذا الصنف من الياقوت (٣) الاسمانجوني : فارسى معرب مركب من كلمتين (آسمان) أى السماء (وكون) لون ، ومعناه أبيض بزرقة كلون السماء (٤) كذا بالأصل ولعل ضمير المؤنث فى قوله : كبرها وصغيرها - عائد على ياقوته .

واشتراه أبو جعفر المنصور بأربعمائة دينار^(١) . والياقوت الاسماجوني ربما بلغ الفص منه مائتي دينار .

وخير الزبرجد الشديد الخضرة ، الصافي الجوهر ؛ ومعرفة الزبرجد الفائق من المعمول المتخذ كمعرفة الياقوت : برزاقته وبرودة مذاقته وعمل المبرد فيه على مهل ؛ والمعمول منه رخو خفيف الوزن ، حار في المذاق ، يسرع فيه ؛

وزعموا ان خير الزبرجد الناضر الصافي النقي ، فاذا بلغ وزن قطعة منه نصف مثقال بلغ في الثمن النقي مئتان ذهما ، وارتفاع القيمة على مقدار كبره وصغره ؛ وكان فص الخاتم الذي يسمى (البحر) وزنه ثلاثة مثاقيل اشتراه أبو جعفر المنصور بثلاثين الف دينار وهو اليوم في خزانة بعض الخلفاء .

وخير الفيروزج الشيربام^(٢) الأخضر الاسماجوني الصافي العتيق ، والفيروزج

(١) نقل أبو منصور الثعالبي من هذا التأليف فصولا و فقرات عديدة ببعض التصرف نسب بعضها إلى الجاحظ وغفل عن كثير منها ، فمن ذلك قوله : زعم الجوهريون (٢) ان الياقوت لا يكون إلا من جبل سرنديب بالهند . وخيره الأحمر الهرماني ، ثم الوردى . ثم الرماني ، وإذا بلغ الهرماني نصف مثقال كانت قيمته خمسة آلاف دينار ، وكان وزن الفص الذي يسمى (الجبل) مثقالين قوم بمائة الف دينار فاشتراه المنصور بأربعمائة الف . (كتاب ثمار القلوب ص ٤٢٤) - ونقل الصلاح الصفدي من تأليف شيخه شمس الدين بن ساعد الأنصاري وسماه « بنخب الذخائر في أحوال الجواهر ، جملة مهمة جدا تتعلق بالياقوت وتكوينه وأصنافه وأثمانه جاء في ضمنها : وكان في خزائنة الامير يمين الدولة محمود ياقوتة شكلها شكل حبة العنب وزنها اثنا عشر مثقالا قومت بعشرين الف دينار ، وكان للمعتمد العاسي فص يسمى « ورقة الآس » ، لانه كان على شكلها وزنها مثقالان إلا شعيرتين اشتراه بستين الف درهم (كتاب الغيث المنسجم ١ : ٨٣)

(٢) شيربام فارسي معرب مركب من لفظين ومعناه (لون اللين) .

حجر لا يعمل المبرد فيه ولا يتغير في النار والماء الحار ، وغاية ثمن فص فيروزج اذا بلغ وزنه نصف مثقال عشرون ديناراً .

وخير العقيق اليماني الشديد الحمرة الذي يرى في وجهه شبه الخطوط ، وكلما كان أصفى وأضوأ كان أجود في الثمن .

وخير البيجاذى ^(١) الأحمر الشديد الحمرة المتهب لونه التهاب النار ، وكلما كان أصلب وأكبر كان أنفس وأثمن ، والمعمول منه رخو ، وامتحان جودته من رداءته انك اذا قربته من الريش احتمله ، وكلما كان أحمل للريش كان أجود ، وغاية ثمن فص بيجاذى فائق اذا بلغ وزنه نصف مثقال ثلاثون دينار . والجوهر النفيس لا قيمة له وذلك لاتساع ضوئه وانتشار شعاعه بالليل .

والبلور يُختار لصفائه وعظمه ، وخير الزجاج البلورى الصافى الأبيض النقي ،

(١) البيجاذى : حجر كريم احمر اللون يشبه الياقوت فيه خاصية الكهرباء في جذب الثبن ، وأصله في الفارسية (بيجاده) وهو اسم الكهرباء ، وقد عرب قديماً ووود في أشعار العرب ، قال الفرزدق (الاغانى ط بولاق ج ١٩ ص ٢١) :

أغرّك منها لوثة عريسة علت لونها إن البجاذى أحمر

راجع معجم المجموعة الجغرافية العربية تأليف المستشرق دى خوى طبعة ليدن ص ١٨٤ (Indices, Glossarium - Bibl. Géogr. Arab. , de de Goeje) وانظر ايضاً التعليق الجميل الذى وضعه صديقنا العلامة المحقق المغفور له احمد تيمور باشا على هذه الكلمة في تفسيره للالفاظ العباسية (مجلة المجمع العلمى الدمشقية ج ٧ ص ٢٠٤ من سنة ١٣٣٩)

وقال ابن عبد ربه : ومدينة باخ بخراسان بها معادن البجاذى العتيق ، وهو جنس من الفصوص تسمية العامة البرزادى (العقد الفريد ٣ : ٢٥٧) .

والفرعوني الفائق^(١) . وخير الماس^(٢) البلورى الصافى الأبيض النقى ، ثم الأحمر ،
وإذا بلغ وزنه نصف مثقال بلغ فى الثمن مائة دينار ، وكلما كان أكبر وأعظم
كان أبلغ فى الثمن وأرفع .

باب معرفة الطيب والعطر والروائح الطيبة

زعموا ان خير العود الهندى المندى^(٣) الذى لا غش فيه ، وكلما كان أصلب
فهو أجود وامتحان جودته بجمدة أرجه وشدة رائحته ؛ وزعموا ان خير العود الهندى
الثقيل الوزن الذى يرسب فى الماء ، وأدونه الخفيف الوزن الذى يطفو على رأس
الماء ، والخفيف الوزن عندهم ميت لا روح فيه وهو ضعيف الرائحة ، والثقيل الوزن
منه له ذكاء وقوة أرج ورائحة .

(١) ورد ذكر الزجاج الفرعوني فى كتاب (الحيوان) للجاحظ ج ٣ ص ١١٦
(٢) الماس : يونانى معرب وهو الديامنت وقد ورد ذكره فى الحديث الشريف
(النهاية لابن الاثير ج ٤ ص ٧٩) - وقال التيفاشى : الماس نوعان : الزيتى
والبلورى ، والزيتى أجودهما ، والبلورى أبيض شديد كلون البلور ، والزيتى مخالط
ببياضه صفرة كلون الزيت ، وهو شبيه بلون الزجاج الفرعوني (كتاب أزهار
الأفكار - خط) .

(٣) المندى : منسوب إلى مندل ، وهو بلد بالهند يجلب منه العود الذى الشذا
(راجع معجم البلدان لياقوت - لفظ مندل - وشفاء الغليل) - وقال أبو منصور
الثعالبي وفى كتاب العطر ، (للجاحظ) : وخير العود الهندى المندى ، وكلما كان
أصلب فهو أجود وامتحان جودته اذا كانت فيه رطوبة ، ومن خصائصه ثبات
رائحته فى الثوب اسبوعاً وأكثر (ثمار القلوب ص ٤٢٣) .

وخير المسك التبتى^(١) اليابس الفاتح وأرداه البُدَى ، وغش المسك من
الآنك^(٢) وجند بادستر^(٣) ودم الأخوين^(٤) وسياه داروا^(٥) وكلما خف وزنه
وفاح فهو أجود .

(١) بالاصل : التبي وهو تحريف وصوابه : التبي نسبة الى بلاد التبت ، وفي
كتاب « الحيوان » للجاحظ (ج ٤ : ٤٦) ان المسك كان يجلب من التبت - وفي
« المحاسن والاضداد » (باب محاسن الهدايا ص ١٧٩) : وكان مما تهديه ملوك
الاهم الى ملوك فارس طرائف ما فى بلدهم ، فن الهند القيلة والسيوف والجلود ،
ومن التبت المسك والحزير والاوراق ، ومن الهند الطواويس والبيغاء ، ومن الروم
الديباج والبسط . - ويؤيده ما نقل الاصلطخرى وابن حوقل حيث قالوا : ولهم
(أى أهل ما وراء النهر) من المسك الذى يجلب اليهم من التبت وخرخيز ما ينقل
الى سائر الامصار يفوق غيره من المسوك ثمناً وجودة (المسالك والممالك
للأصلطخرى طبعة ليدن سنة ١٨٧٠ ص ٢٨٠ و ٢٨٨ - والمسالك والممالك لابن
حوقل طبعة ليدن سنة ١٨٧٢ ص ٣٢٧ و ٣٢٧) .

(٢) آنك : فارسى معرب وهو الرصاص ، وعند ابن البيطار : الرصاص ضربان
أحدهما الرصاص الاسود وهو الآنك ، والآخر الرصاص القلعي وهو القصدير
(جامع مفردات الادوية طبعة مصر ٢ : ١٤٠) .

(٣) جند بادستر : فارسى معرب وهو مائة حيوان برى بحرى يكون فى الانهار
العظام يسمى القندر (وعند الأفرنج Castor) وخصاه هى الجند بادستر (الدهيرى
٢ : ٢١٧ وابن البيطار ١ : ١٧١) .

(٤) دم الأخوين : قال ابن البيطار بالنقل عن أبى حنيفة الدينورى : هو صمغ
أحمر لشجرة يؤتى به من سقطرى ، ثم قال : وهو الأيدع عند الأطباء ، ويقال له
الشيان أيضاً (جامع المفردات ١ : ٧٢ و ٢ : ٩٦) قلت : والمعروف أن دم
الأخوين هو العندم عند قدماء العرب ، وقيل هو البقم .

(٥) سياه دارو : ويكتب أيضاً سيادرو - وسيادروان ، وفى القانون لابن
سينا سيادوان . فارسى معرب ، وهو صمغ الجوز الشامى (راجع كشف الرموز
لابن حمدوش ط حبر بالجزائر ١٣٢١ ص ٩٩) .

وزعموا ان خير العنبر الأشهب الزاجي^(١) ثم الأزرق ، ثم الأصفر ، وأدونه
الآ] هنا ورقة كاملة من الأصل بها ثلاثون سطراً تعطلت قراءتها لانخرام
كتابتها واستيلاء الزاج على أحرفها بحيث لم يتيسر نقلها بأى وجه ولم يبق ظاهراً

(١) الزاجي : سمي القلقشندى من أنواع العنبر ستة أضرب أولها الشحري ثم
الزنجي (قلت : وهو لا محالة تحريف الزاجي أو الرابحي) وهو أجود العنبر وأفضله . .
(صبح ٢ : ١١٧ و ١١٨) - وجاء في تاج العروس : (والرابحي جنس من
الكافور) منسوب إلى بلد كما قاله الجوهري وصوبه بعضهم أو إلى ملك اسمه رباح
اعتنى بذلك النوع من الكافور وأظهره (تاج ٢ : ١٤٠) - وفيه . ورباح
موضع بالهند ينسب إليه الكافور ، وبسط بحثاً طويلاً في الغلط الحاصل في الصحاح
للجوهري إذ نسب تارة الرابحي إلى بلد بالهند وتارة إلى دويبة يجلب منها الزبد
- وذكر ابن البيطار - في مادة كافور وعنبر - أن الرابحي مشتق من اسم
ملك هندي اسمه رابح (جامع المفردات ٢ : ٣٣٤) وقال داود الأنطاكي
ويسمى الرابحي لتصاعده مع الريح ، وقيل الرابحي - بالموحدة - نسبة إلى
رباح أحد ملوك الهند أول من عرفه (تذكرة - مادة كافور) - وقال دوزي
في مستدركه على المعاجم العربية : أن بعض المصنفين يسميه أيضاً الزياحي
Dozy, Suppl. aux diction. arabes, vol. I p. 499 وما تقدم يتضح
أن الاختلاف في اسم الزاجي أو الرابحي قديم ولا يعرف على وجه التحقيق
نسبته ، ولذا احترمنا هنا الصيغة الواردة بالأصل مع التنبيه عليه - ووقفنا أخيراً
على فصل تمتع نشره العلامة المحقق الاب انستاس مارى الكرملى كشف فيه الغطاء
عن معنى الرباح ووجه اشتقاقه وأثبت أن أصل اللفظ - الزاج - وهو اسم جزائر
ماليسية (جاوه وسومطره وبرنيو) عند قدماء العرب - والنسبة إليه زاجي ، فحرفه
النساخ والمؤلفون المتأخرون فقالوا الزاجي والرابحي وغير ذلك (راجع مجلة
المجمع العلمي دمشقية ص ٢٣٢ من سنة ١٣٢٩)

منها سوى ما هو مرسوم بالحمة -- في السطر السابع عشر -- وهو : باب معرفة الثياب وما يستجد منها]

.... وخير الوشى [في الثوب] السابري^(١) والكوفي ، والأبريسى ، والمذهب المنسوج ثم الوشى الأسكندرانى الكتان البحت^(٢) ثم المنسوج بالذهب ، ثم الوشى الغزلى ، ثم الذى لا ابريسم فيه ولا ذهب وهو اليماني لانه يرتفع على هذه السبيل من الغزلى ، والابريسمى والكتان لا يبلغ فى الثمن ما يبلغه اليماني لأنه ربما بلغ الثوب الغزلى الف دينار .

(١) السابرى : نسبة إلى سابور ، وفى حديث حبيب بن أبى ثابت قال : رأيت على ابن عباس ثوبا سابريا استشف ما وراهه ، وكل رقيق عندهم سابرى والأصل فيه الدروع السابرية منسوبة إلى سابور (النهاية لابن الأثير ٢ : ١٥٢) - وفى التاج : والسابرى ثوب رقيق جدا . قال ذو الرمة :

فجاءت بنسج العنكبوت كأنه على عصويها سابرى مشبرق
ومنه المثل : عرض سابرى . أى رقيق جداً (تاج ٣ : ٢٥٢) - وقال أبو منصور الثعالبي . والسابرى ، وهو الرقيق الناعم من كل ثوب ، والأصل فيه النسبة إلى نيسابور وعرب فقيل سابرى (ثمار القلوب ص ٤٢٩) .

(٢) نقل أبو منصور الثعالبي العبارة الآتية فى لفظ « كتان مصر » ولم يذكر عن أى تأليف للجاحظ نقل ، قال : قال الجاحظ : قد علم الناس أن القطن لخراسان وإن الكتان لمصر ، ثم للناس فى ذلك فى تفريق البلدان ما لا يبلغ مقدار بعض بلاد هذين الموضعين ، وربما بلغت قيمة الحمل من دق مصر الذى من الكتان لا غير مائة الف درهم (ثمار القلوب ص ٤٢٠) - وراجع أيضاً كتاب « ما يعول عليه فى المضاف والمضاف إليه » للدجى - خط بمكتبتى .

وخير السنجاب^(١) القائم^(٢) ثم الظهور منه ، ثم الخزرى^(٣) ثم الخوارزمى ،
ثم الذى لاغش فيه من زغب الأرانب .
وخير الثعالب الأسود^(٤) الخزرى الغليظ الشعر الذى لا يُعشُّ بصيغ ، ثم
الأبيض ، ثم الأحمر المصرى^(٥) ثم الأحمر الخزرى ، ثم الخلنجى^(٦) .
وخير القائم أكثرها أذناً : وخير السمور الصينى ، ثم الخزرى الشديد
البياض مع شدة السواد الطويل الشعر .

(١) السنجاب : قال القلقشندى : حيوان أكبر من الفار يعيش فى الشجر العالى ،
فيها يأوى ومنها يأكل ، وهو كثير بيلاذ الافرنج والصقالبة ، ووبره فى غاية النعومة
وجلده فى نهاية القوة ، ويتخذ منه الفراء النفيسة التى يلبسها الناس والرؤساء ، وأحسن
ألوانه الأزرق (صبح الاعشى ٢ : ٥٠) أقول وهو المسمى باللاتينية *Scuriolus*
وبالفرنسية *Ecureuil* .

(٢) القائم (بقافين الثانية منهما مضمومة) - هو دويبة فى قدر الفار لها شعر
أبيض ناعم ، ومنه يتخذ الفراء ، وهو أعز قيعة من السنجاب (صبح ٢ : ٤٩)
(٣) الخزرى : نسبة الى بحر الخزر وما كان حوله من البلاد .

(٤) قوله : خير الثعالب الاسود ، جاء فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٦ ص
١٠٠) « وفى الثعلب جلده وهو كريم الوبر وليس فى الوبر أغلى من الثعلب الاسود
وهو ضروب منه الأبيض الذى لا يفصل بينه وبين الفئك ، ومنه الخلنجى وهو الاعم . .
(٥) كذا بالاصل وأظنه غلطاً من الناسخ وصوابه «المصرى» أى المصبوغ بالمصرة
وهو العصفر ، وقال ابن سيده : والثوب الممصر هو المصبوغ بالطين الاحمر أو
بحمرة طفيفة (المخصص ٤ : ٩٤) .

(٦) الخلنجى : المقصود به الذى يشبه لونه خشب الخلنج وهو شجر معروف
(ابن البيطار ٢ : ٦٨) وقد عرف أبو الوليد المراد كشى اللون الخلنجى بقوله :
مخظط بسواد ودخنة (راجع مستدرك المعاجم العربية لدوزى ج ١ ص ٤٠٠)

وخير الفرش وأرففه ممناً وأجوده المرعزى^(١) القرمزى الأرمنى النيز ، ثم الخرز رقم ، ثم الخرز القُطوع^(٢) ثم الديباج على عمل الخسروانى^(٣) الرومى ، ثم الخرز المديج على الميسانى ، ثم البزبون^(٤) ؛ ومهما كان من هذه الضروب منسوجاً بالذهب فهو اجود وأبلغ فى الثمن ، وقد تكون هذه الضروب كلها منسوجة بالذهب إلا الأرمنى والميسانى والبزبون .

وخير البزبون المسكى الدقيق النسج ، ثم المخطط ، ثم المقلّس^(٥) ثم الساذج ، ثم المعين^(٦) ثم المنقط ؛ والغفارة المسكية إذا كانت رقيقة العمل نقيه ربما بلغت فى الثمن خمسين ديناراً .

(١) المرعزى والمرعزاء - بكسر الميم - اذا خففت مدت واذا شددت قصرت وأصله بالنبطية (مرعزا) وقد تكلمت العرب به قديماً ، قال جرير من قصيدة يهجو بها التيم :

كسك الخنظلى كسك صوف ومرعزى فانت به تفيد

أى تبختر عجباً (راجع العرب للجوالقى ص ١٣٧)

(٢) القُطوع جمع قطع وهو ضرب من الوشى فى الثياب (المخصص لابن سيده)
(٣) الخسروانى ، نوع من نسج الحرير الرقيق الحسن الصنعة منسوب إلى عظام الأكاكسة ، وهو فارسى معرب (العرب للجوالقى ص ٦٠ وشفاء الغليل للخفاجى) .
(٤) البزبون كعصفور ، السندس ، وقال ابن برى : هو رقيق الديباج (تاج العروس ٩ : ١٣٩) .

(٥) وبالاصل ، المقلّس ، وهو تحريف بين ، والمقلّس بمعنى الختم والمزركش على هيئة الفلوس كما يقال ثوب مدر ومدرهم أى موشى على صورة الدنانير والدرهم .
(٦) المعين ، ثوب فى وشيه ترايع صفارشبه باعين الوحش (المخصص ٤ : ٦٧)

وأبو قَلَوْن^(١) من الزلالي^(٢) الخمسرواني الرومي القرمزي على خطوط مختلفة البنفسجي في الأحمر والأخضر ، وزعموا أنه يتلون ألواناً بارتفاع النهار ووهج الشمس ، والقيمة مرتفعة منه جداً .

وخير الأكسية من الصوف المصرية ، ثم الخوزية الفارسية ، والمرعزي في المرعزي الفارسية الشيرازية ، ثم الاصفهانية المرعزي في الابريسم الفسوية ، ثم الطبرية^(٣) ، ثم الصوف في الصوف .

وخير الطيالسة الرويانية الطبرية ، ثم الآلمية^(٤) ثم المصرية ، ثم

(١) ابو قَلَوْن ، عرفه مرتضى الزبيدي بقوله : ثوب رومي يتلون ألواناً للعيون نقله الجوهري ، وقال الأزهرى : يتراعى إذا أشرفت عليه الشمس بألوان شتى ، قال : ولا أدري لم قيل له ذلك ، وقد يشبه به الدهر والروض وزمن الربيع (تاج العروس ٩ : ٣١) - أقول : لفظ أبو قَلَوْن يوناني معرب وهو في الأصل Abokalamon والنسيج المسمى أبو قَلَوْن في المشرق وهو المعروف في الديار التونسية بعنق الحمام .

(٢) الزلية - بالكسر - البساطج زلالي كما في لسان العرب والعباب . وفي مستدرك التاج (مادة زلل ج ٧ : ٣٥٩) والزلال الصافي من كل شيء ، قال ذوالرمة : كأن جلودهن بموهات على أبقارها ذهب زلال فكان المقصود هنا من الزلالي الصافي اللون .

(٣) على ذكر الأكسية الطبرية نقل الجاحظ : أن قيمة الكساء الأبيض الطبري

في عصره يساوي اربعمائة درهم والقومسى منها مائة درهم (كتاب الحيوان ٣ : ٨)

(٤) قوله : الطيالسة الرويانية نسبة الى الرويان وهي مدينة من نواحي قزوين

(الاضطخري ص ٢٠٦ - وابن حوقل ٢٦٩) - وكذا الآلمية نسبة الى أمل وهما

مدينتان بهذا الاسم : الاولى عاصمة طبرستان - وهي المقصودة هنا - مشهورة

بضأنها وصوفها ومنسوجاتها (المقدسى ص ٣٥٥ وابن حوقل ٢٧١) والثانية

مدينة في غربي جيحون في سمت بخارى بينها وبين جيحون نحو ميل .

القُومِسيَّة (١). وخير اللبود الصينية ، ثم المغربية الحجر ، ثم الطالقانية البيض (٢) ثم الأرمنية ، ثم الخراسانية .

وخير النمر البربرى الموشح الشديد بياضه المشع سواده الطويل الوشى الساباني (٣) . وأظرف النمر الذى يكون فى وسط سواده نقطة سوداء صغيرة بيضاء ؛ وإن كان سواده متصلًا بعضه ببعض بشظية من سواد خفيفة كان أظرف له ، وإذا كانت فيه حمرة مع بياض يققّ وسواد حالك كان أحسن وأبلغ فى الثمن ؛ ونمر البربر صغار ومقدار الجلد منها ما يغشى سرجاً مفرداً ، ومتتهى ثمن الجلد منها خمسون ديناراً ، وأما المغربية والهندية فهما أوسع وأكبر ولا يبلغان فى الثمن ولا

(١) القومسية ، نسبة الى قومس من أكبر مدائن الديلم ، قال ابن حوقل : ويرتفع من قومس أكسية معروفة تحمل إلى الأمصار وهى فاشية فى جميع الارض (المسالك والممالك ص ٢٧١) - وقال المقدسى : أما قومس فلهم المناديل البيض من القطن المعلبة صغار وكبار وسواذج ومحشاة ربما يبلغ المنديل منها الفى درهم ، ولهم أيضاً أكسية وطياسة وثياب رفاق من الصوف (كتاب أحسن التقاسيم ص ٣٦٧) .

(٢) نقل أبو منصور الثعالبي هذه العبارة من هذا التأليف وعزاها إلى صاحبها فقال : وذكر الجاحظ فى كتاب « التبصر بالتجارة » ان خير اللبود الصينية ثم المغربية الحجر ثم الطالقانية البيض ، (ثمار القلوب ص ٤٣٣) . وتبعه النويرى فنقل عين العبارة المتقدمة عن الجاحظ لكنه جعل اسم الكتاب « النظر فى التجارة » (نهاية الارب ج ١ ص ٣٦٧) وهو تحريف واضح لنشابه ما بين لفظ « التبصر » و « النظر » - فليتبّه .

(٣) الساباني ، نسبة إلى السابان ، وهو فى الفارسية الطائر المعروف بالزرزور الذى ريشه منقط بنقط بيض ونقط سود . وبه شبه الجاحظ هنا المختار من جلد من جلد النمر البربرية ، كان أقرب إليه أن يقول فى نعتة زرزورى أى فى لون الزرزور وهو عربى صريح .

يرتفعان ، وخير النور الوشى ، وخير القطن الأبيض اللين الضمار الحبوب اللطيف
البياض الصافي .

وزعم أن القرمز حشيشة تكون في أصلها دودة حمراء تنبت في ثلاثة مواضع
من الأرض ^(١) : في ناحية المغرب بأرض الأندلس ، وفي رستاق يقال له تارم ^(٢)
وفي أرض فارس ، ولا يعرف هذه الحشيشة وأما كنها إلا فرقة من اليهود يتولون
قلعها كل سنة في ماه اسفندارمذ ^(٣) فتييس تلك الدودة ويصنع بها الابريسم
والصوف وغير ذلك ؛ وخير ما يصنع في الأماكن بأرض واسط .

(١) عرف الرحالة ابن حوقل القرمز الارمنى بقوله : وهو صيغ أحمر يصنع
منه المرعزى والصوف ، وأصله من دود ينسج على نفسه مثل دود القز إذا نسجت
على نفسها القز (المسالك والممالك ص ٢٤٤) .

(٢) تارم ، من مدائن فارس من ناحية شيراز بينهما ٨٢ فرسخاً (الاصطخري
ص ١٣١ وما بعدها - وابن حوقل ص ٢٠١ و ٢٠٣ و ٢٢٦ - والمقدسى
٤٢٣ و ٤٢٦) .

(٣) ماه اسفندارمذ ، هو اسم الشهر الثاني عشر من السنة الشمسية عند الفرس ،
واليوم الخامس منه هو « اسفندارمذروز » ، كان من الأعياد الكبيرة عند قدماء
الفرس وفيه كانوا يلتقطون الاعشاب من الجبال والاوودية ويتخذون الادهان
ويهشون البخور والدخن ، وفيه تكتب الرقاع لدفع الهوام والحشرات فيكتبون من
ظهور الفجر إلى طلوع الشمس رقية على كواغد مربعة ويلصقون منها على الجدران
(راجع كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية للبيروني طبعة ليبسيج سنة ١٨٧٨
ص ٢٢٩ - وعنه نقل القزويني في كتابه « معجائب المخلوقات » طبع بهامش حياة
الحيوان ص ١٢٨ وما بعدها)

أقول : وهذه العادة الفارسية القديمة لم تزل متبعة في البلاد التونسية من كتب
رقاع صفار بها آية السموم من القرآن وذلك اليوم الأول من شهر مايو الأجمعي
ثم يلصقونها بمدخل البيوت دفعا للعقارب والحشرات السامة . قلت : وكذلك في
مدينة حلب

وزعموا أن البلسان شجر بأرض مصر يُشرطُ في أيام الربيع فيخرج منه دهن البلسان فيؤخذ منه ، وهو مفقود في الأرض كلها ما خلا مصر^(١) .
وحبّ الزلّم^(٢) ينبت بأرض شهرزور ، وزعموا أنه جيد للجماع ؛ والقرماز شجر بالفارسية بنجكشت (؟) قلما يوجد إلا ومعه الدفلى ، وهو نبت يستخير بالدفلى النابتة عنده يقال له فازهر^(٣) فلذلك غرس معه في موضع يكون به ، وقيل مُحملاً جميعاً من الروم وله قصة عجيبة طويلة .

باب يجلب من البلدان من طرائف السلع والأمتعة والجوارى والأحجار وغير ذلك

يُجلب من الهند : البيور والنور والغيلة وجلود النور والياقوت الأحمر والصندل

(١) البلسان المصرى ، قال الاصطخرى : وحوالى الفسطاط زرع ينبت مثل القضبان يسمى البلسم يتخذ منه دهن البلسان لا يعرف بمكان في الدنيا إلا هناك (الاصطخرى ٥٤) وجعله ابن حوقل في عين شمس خاصة (المسالك والممالك ص ١٠٦) .

(٢) حب الزلم ، عرفه ابن البيطار بقوله : هو حب دسم مفرطح اكبر من الحمص قليلا أصفر الظاهر أبيض الباطن طيب الطعم لذيد المذاق ويجلب من بلاد البربر ، وينبت في ناحية شهرزور ، وقد ينبت منه شيء بصعيد مصر يسمونه بالسقيط (جامع مفردات الادوية ٢ : ١٦٦ و٤) - قلت وهو المعروف عندنا في تونس بحب عزيز .

(٣) المشهور ان الفازهر حجر كريم لانبات كما ورد هنا ، وانه صنفان حيوانى ومعدنى وهو عند الافرنج Bézoar واسمه فارسى معرب وأصله بازهر ومعناه « منفى السم » - وقد ذكر معدنه وأوصافه وخواصه ومنافعه جماعة من علماء الأحجار كابن البيطار في مفرداته والتيفاشى في كتاب أزهار الافكار والقزوينى في عجائبه وسواهم كثير . فإيراجع هنالك .

الأبيض والأبنوس وجوز الهند^(١) .

ويجلب من الصين : الفرند والحريير والفضائر^(٢) والكاغد والمداد والطواويس والبرازين الفرّة والسروج واللّبود والدارصيني وادارند^(٣) الخالص ، ويجلب من الروم : أواني الفضة والذهب والدنانير الخالصة القيسرانية والعقاير والبريون والابرون والديباج والبرازين الفرّه والجوارى وطرائف الشبّه والأققال المحكّكة واللورا^(٤) ومهندسوا الماء وعلماء الحراثة والاكارّة وبناء الرخام والحصيان .

(١) قال أبو منصور الثعالبي : وبلاد الهند من الخصائص ما لم يكن لغيرها فنّها الفيل والكر لادن والبر والبيغاء والطاؤوس والدجاج الهندي والياقوت الأحمر والصندل الأبيض والعاج والساج والتوتيا والقرنفل والسنبّل والفلفل وغيرها من العقاير (ثمار القلوب ٤٢٣) .

(٢) الفضائر ج غضارة هي القصعة أو الصحن الكبير ذو ساق يتخذ من خزف ، وارتفاع الفضائر ما يوثق به من الصين كما نص عليه الجاحظ هنا لاشتهارها وحسن صنعها وجودة طلبها وجمال رونقها ، وقال شمر : الغضار الطين الأحمر نفسه ومنه يتخذ الخزف الذي يسمى الغضار . وقال ابن دريد : فاما الغضارة التي تستعمل فلا أحسبها عربية محضة (تاج العروس وغيره) .

(٣) لفظه أدارند ، هنا لامعنى له ؛ وأظنه تحريفاً من الناسخ ، ويظهر أنه قصد الراوند . قال مرتضى : الروند الصيني وهو أنواع أربعة أعلاها الصيني ودونه الخراساني ويعرف بروند الدواب تستعمله البيطرة وهو خشب أسود ، والأطباء يزيّدونها الفأ فيقولون راوند ، ولفظه ليس بعربي محض (تاج ٢ : ٣٥٩ و ٣٦٠ مادة راد)

(٤) كذا بالأصل ولم أر لها معنى ، ولا شك أن الناسخ حرف فلم يأت باللفظ على أصله اللهم الا أن يكون اللاذ واللادة وهي ثياب من حرير تنسج بالصين تسميها العرب والعجم اللاذ (المخصص ٤ : ٦٨) وفي القاموس : اللادة ثوب حرير أحمر ينسج بالصين .

- ومن أرض العرب : الخيل العراب والنعام والنجائب والقانة ^(١) والأدم ^(٢) .
ومن البربر ونواحي المغرب : التمر والقرظ ^(٣) واللبود والبزاة السود .
ومن اليمن : البرود والأدم والزرافات والجواميس ^(٤) والعقيق والكنندر ^(٥) .
والخطر ^(٦) والورس ^(٧) .
ومن مصر : الحجر الهاليج ^(٨) والثياب الرقاق والقراطيس ودهن البلسان ،
ومن المعدن الزبرجد الفائق .

(١) القانة وجمعها القان ، هو شجر جبلي ينبت بجزيرة العرب . زاد الأزهري
ينبت في جبال تهامة ويتخذ منه القسي (لسان العرب) .

(٢) الأدم ج أديم ، هو الجلد المدبوغ اذا كان عليه شعره أو صوفه أو وبره .

(٣) بالاصل القرظ ، وهو تحريف واضح وصوابه القرظ ، وهو ورق
السلم تدبغ به الجلود ، وقيل هو السنط يعتصر منه الاقاييا وهو مما يتداوى به
(المعاجم اللغوية) .

(٤) كذا بالاصل ولا أخالها إلا الجواشن ج جوشن ، وهو الدرع من حديد .
وقال ابن سيده زرد يلبسه الصدر والحيزوم (المحكم ، خط بالمكتبة الزيتونية
في تونس) .

(٥) الكندر ضرب من العلك عن ابن سيده وهو اللبان عند الأطباء وغيرهم
(تاج : ٣ : ٥٢٩) .

(٦) الخطر — بالكسر — نبات يجعل ورقة في الخضاب الاسود يخضب به ،
وقال أبو حنيفة هوشيه بالكتم وكثيراً ما ينبت معه واحده خطر (تاج : ٣ : ١٨٣)

(٧) قال الثعالبي ومن خصائص اليمن الزرافة ، وكان الاصمعي يقول أربعة قد
ملاّت الدنيا ولا تكون إلا باليمن الورس والكنندر والخطي والعقيق (كتاب ثمار
القلوب ٤٢٥) وقد جعل الناسخ هنا الخطي — وهي الرمح — مكان الخطر ،
فليتنبه .

(٨) على ذكر الخمر المصرية قال الاصطخري : وبمصر بغال وحمير لا يعرف في

ومن الخرز : العبيد والإماء ، والدروع والبيضات والمغافر .

ومن أرض خوارزم : المسك والقاقم والسمور والسنبجاب والفنك وقصب الطيب .

ومن سمرقند : الكاغد (١) .

شئ من بلاد الاسلام أحسن ولا أئمن منها ، ولهم من وراء أسوان حمير صفار في مقدار الكباش معلة تشبه البغال المعلة ، اذا خرجت من مواضعها لم تعش ، ولهم حمير يقال لها (السلاقية) بأرض الصعيد زعموا أن أحد أبويها من الوحشى والآخر من الأهلى فهى أسير تلك الحمير (راجع مسالك الممالك ص ٥٥ وكذا ابن حوقل ص ١٠٧) .

(١) كاغد وكاغد وكاغذ ، لفظ صيني معرب دخل العربية بطريق الفارسي ، ولم يكن الكاغد معروفاً بالشرق في أول عهد الاسلام وإنما كانت الكتابة على القراطيس المتخذة من البردى المصرى أو على الرقوق ، وأول ظهور الكاغد في الاسلام كان في سمرقند صنعه هنالك أسارى من الصين أسرههم الأمير زياد بن صالح في وقعة اطلخ سنة ١٣٤ للهجرة فاتخذوه له من خرق الكتان والقنب على ما كان جار في بلادهم فقدم الناس من ذلك الحين وكثر صنعه في بقاع متعددة من بلاد الاسلام ، ومنها دخل الى أوروبا واشتهر — قال أبو منصور الثعالبي : كواغد سمرقند هى من خصائصها التى عطت قراطيس مصر والجلود التى كان الأوائل يكتبون فيها لأنها أنعم وأحسن وأرفق ، ولا تكون الا بسمرقند والصين ثم كثرت الصنعة واستمرت العادة حتى صارت متجرأ لاهل سمرقند فعم خبرها والارتفاق بها الى جميع البلدان فى الآفاق (ثمار القلوب ص ٤٣١) — وذكر المقرئى فى خطه ان جعفر البرمكى هو أول من استبدل الكتابة على القراطيس بالكاغد فى الدواوين (النويرى ١ : ٣٦٧) .

أقول : ومن أشهر الأصناف التى كانت تصنع قديماً فى العالم الاسلامى : الكاغد الفرعونى تقليداً للقراطيس المصرية المستعملة الى حدود ذلك الوقت ، والكاغد السليمانى نسبة الى سليمان بن رشيد ناظر بيت المال بخراسان على عهد الخليفة هارون الرشيد ، والجعفرى منسوب الى جعفر البرمكى الوزير العباسى ، والطلحى منسوب

ومن بلخ ونواحيها : العنب الطيب والفوشنة ^(١) .
ومن بوشنج : السكر المرى .
ومن مرو : الضرابون بالبرابط والبرابط الجياد والطنافس والثياب المروية ^(٢) .
ومن جرجان : العناب والتدرج وحب الرمان الجيد واليرمق ^(٣) اللين

الى طلحة بن طاهر ثانى امراء بنى طاهر ، والنوحى نسبة الى الامير نوح الاول من بنى ساسان ، وسوى ذلك كثير ؛ وقد شاعت الوراقة في البلاد العربية وخصصت بدور صناعة في العراق واليمن وفارس والشام ومصر والمغرب — لا سيما في القيروان والمهدية — وفي الاندلس خصوصاً بمدينة شاطبة (Xativa) وغيرها (انظر كتاب الفهرست لابن التديم ص ٢١ وصبح الاعشى ١ : ٤٧٤ و ٤٧٦) .

(١) الفوشنة ، ويسمىها أبو بكر بن الفقيه الهمداني (الفوشنة) (كتاب البلدان ص ٢٥٥) ولم نهد الى معرفة ماهيتها . قلت : وهى معروفة الآن بالوشنة .

(٢) ثياب مرو ، قال الثعالبي : كانت العرب تسمى كل ثوب صفيق يحمل من خراسان المروى وكل ثوب رقيق يجلب منها الشاهجانى ، لان مرو عندهم أم خراسان ، ويقال لها مرو الشاهجان ، وقد بقى الى الان اسم الشاهجان على الثياب الرقيقة ، وبما تختص به مرو الثياب (الملحم) (ثمار القلوب ص ٤٣١) - ومن ينسب الى مرو من الرجال يقال له مروزى ومن الثياب مروى (العقد الفريد ٣ : ٢٥٧) .
أقول : والمتعارف هو أن النسبة الى مرو الروز : مروزى ، وإلى مرو الشاهجان : مروى ، للتفريق بين المدينتين .

(٣) لم نقف على معنى للفظ (اليرمق) وكأنه تحريف (اليرمق) بالفتح ، فارسى معرب (نرمة) وهو اللين الناعم من كل شىء ، وأنشد الليث لرؤبة يصف شبابه :

اجر خزاً خطلاً ونرمقاً ان لريعان الشباب عتقاً

(تاج ٧ : ٧٥) — ويمكن أن يكون ايضاً (يلقق) ج يلامق وهو ضرب من

الفراء المطنة .

والابريسم الجيد^(١) .

ومن آمد : الثياب الموشية والمناديل والمقارم^(٢) الرقاق والطبالسة من الصوف .
ومن دباوند^(٣) : نصول السهام .

ومن الرى : الخوخ والزنبق واليرموق والاسلحة والثياب الرقاق والامشاط

(١) قال الاصطخرى ، ويرتفع من جرجان من الابريسم شئ كثير ، وابريسم طبرستان يحمل بزر دوده من جرجان ولا يرتفع من بزر طبرستان ابريسم ، وبجرجان الثلج والنخيل وفواكه الصرود والجروم من التين والزيتون وسائر الفواكه (الاصطخرى ص ٢١٣ وابن حوقل ص ٢٧٣) — وقال المقدسى ، ولاهل جرجان المقانع القزبات تحمل إلى اليمن والعناب ، ولهم ديباج دون (أحسن التقاسيم ص ٣٦٧) .

(٢) المقارم ج مقرمة وهى الستر ، وعن ابن الاعرابى هى المحبس نفسه يقرم به الفراش قال : وهو ثوب من صوف فيه ألوان من عهون فاذا خيط فصار كأنه بيت فهوكلة ، وقد تزين المقارم فى أطرافها بالرجائز وهى نسيجة حمراء عرضها ثلاث أصابع وأربع (المخصص ٤ : ٧٥) أقول : وقد أخذ الافرنج لفظ مقرمة عن اللغة العربية واطلقوه على نوع من الطرز يسمونه Macramé .

(٣) دباوند — كذا بالأصل وهو عندى تحريف من التاسخ و صوابه (دباوند) وهو جبل عال بناحية كرمان ، قال ابن الفقيه : وبكرمان مدينة يقال لها (دمندان) وهى مدينة كبيرة واسعة وبها أكثر معادن الذهب والفضة والحديد والنحاس والنوشادر والصفير ومعدنه بجبل يقال له (دنباوند) جبل مرتفع شاهق فى الهوام ارتفاعه ثلاث فراسخ (كتاب البلدان ٢٠٦) .

والقلانس الملكية والقسيات^(١) الكتان والرمان^(٢) .
ومن اصفهان : الشهد والعسل والسفرجل والكثيرى الصينى والتفاح والملح
والزعفران والاشنان والاسفيداج^(٣) والكحل والسرر المطبقة والاثواب الجياد
والشراب من الفواكه^(٤)
ومن قومن : القووض والامساح والختر^(٥) والطيايسة من الصوف .
ومن كرمان : النيلج والكمون .
ومن الجور : الجوارشن^(٦) .

(١) بالأصل : العسيات ، وعندى أنها القسيات ، نوع من الثياب كانت تجلب
أولا من قس بمصر ثم أطلق الاسم على غيرها ، وقد ورد ذكرها في الحديث
الشريف (راجع النهاية في غريب الحديث والآثر لابن الأثير) وقال ابن سيده :
الثياب القسية تنسب إلى قس وهو موضع وهي ثياب فيها حرير تجلب من نحو مصر
وقد نهى عن لبسها (المخصص ٤ : ٧٢) .

(٢) قال الثعالبي وكان يحمل إلى السلطان مع خراج الرى — وهو اثنا عشر الف
الف درهم — من الرمان مائة الف ومن الخوخ المقعدد مائة الف رطل (مزار
القلوب ٤٢٨) .

(٣) الاسفيداج ، فارسى معرب وهو نوع من الطلاء أبيض اللون شارقه ويسميه
الافرنج Blanc de ceruse وهو المعروف في تونس بالباروق ، وقد أطل ابن
البيطار في ذكر صنعه وتحضيره فليراجع (جامع المفردات ١ : ٣١) .

(٤) قال الثعالبي وكان يحمل من اصبهان إلى حضرة السلطان كل سنة مع خراجها
— وهو واحد وعشرون الف الف درهم — قدر كبير من الكحل ومن العسل الف
الف رطل ومن الشمع عشرون الف رطل ، وكحلها موصوف بالجودة والزعفران
بها كثير (مزار القلوب ٤٢٧) .

(٥) الختر ، فارسى معرب وهى المظلة تتخذ للوقاية من الشمس .
(٦) كذا بالأصل والأقرب أن تكون الجوارشن ج جوشن وهى الدروع وقد

- وبزر قطلونا^(١) .
ومن برّذعة : البغال القرّ^(٢) .
ومن نصيبين : الرصاص .
ومن فارس : الثياب الكتان التوزي والسابريّ وماء الورد^(٣) ودهن النيلوفر
ودهن الياسمين والأشربة .
ومن فسّا : الفستق وأصناف الفواكه وطرائف الثمر والزجاج .
ومن عُمان وسواحل البحر : اللؤلؤ .
ومن ميسان : الأنماط والوسائد .
ومن الأهواز : ونواحيها السكر والديباج الخز^(٤) .

ذكرها الجاحظ في « المحاسن والأضداد » ، (فصل محاسن الهدايا) .

(١) بزر قطلونا ، نبت معروف وهو صنفان شتوي وصيفي وأنفع ما فيه بزره ، وهو الاسفيون بالفارسية وفي اليونانية فسيلون Psyllium (راجع المختصر الفارسي للصقلي ، والمعتمد في الأدوية لابن رسولاً طبع مصر ص ١٦ ، وكشف الرموز للجزائري وغير ذلك) .

(٢) قال الاصطخري ويرتفع من نواحي برذعة بغال تجلب إلى الآفاق (المسالك ١٩٠) وقال ابن حوقل ويجلب منها من البغال الجياد الموصوفة بالنجابة والصحة والجلد والصبر إلى خراسان والعراق والشام وغير ذلك ما يستغنى بشهرته عن ذكره (ابن حوقل ٢٤٨) .

(٣) قال الثعالبي جور من كور فارس مخصوصة بالورد الذي لا أطيب منه في سائر البلاد يضرب به المثل في الطيب وهو مجلوب إلى أقاصى المشرق والمغرب . . . وكان يحمل من فارس إلى الخلفاء كل عام مع خراجها من ماء الورد سبعة وعشرون ألف قارورة (ثمار القلوب ٤٢٧ - وراجع أيضا الاصطخري ١٥٢ وابن حوقل ٢١٣ والمقدسي ٤٤٣) .

(٤) السكر من خواص الأهواز ومفاخرها ومتاجرها ، ولا يكون الا بها على

- ... والصنّاجات والرقاصات ^(١) وأنواع التمر واللبس والقند ^(٢) .
ومن السوس : الأترج ودهن البنفسج والشاه سبرم ^(٣) والجلال والبراذع .
ومن الموصل : الستور والمسوح ^(٤) والدراج والسُماني .

كثرة قصب السكر في سائر النواحي ، والمثل مضروب بسكر الأهواز كما قال أبو الطيب المتنبي :

تقضم الجمر والحديد الأعدى دونه قضم سكر الأهواز
وكان يحمل إلى الخلفاء كل عام مع خراج الأهواز - وهو خمسة وعشرون ألف
درهم - ثلاثون ألف رطل من السكر ؛ وبما ينسب إلى الأهواز من النفائس ديباج
تسروخز السوس ، قال كشاجم يصف الروض :
كأن الذي دججت تسر وطرزت السوس فيه نسر

(ثمار القلوب ٤٢٦) .

(١) حصل هنا ترهل عطل قراءة بعض الكلمات . أما لفظ « الصنّاجات » ،
الواردة بالأصل فأظنها تحريفاً من الناسخ ولاأخالها إلا « النصاحات » ، وهي الجلود
واحدتها نصاحة (راجع المخصص ٤ : ١٠١) - وكذا قوله « الرقاصات » ، فهي
عندى « الطراحات » ، ج طراحة وهي مقاعد صغيرة مربعة تطرح في البيوت
(٢) القند والقندة ، معرب ، كند ، وهو عصارة أو غسل قصب السكر إذا جمد
وهو المعروف عند الأطباء بسكر النبات ويسميه الأفرنج *Sucre candi* أي سكر مرني
(٣) شاه سبرم ، ويقال أيضاً شاهسفرم وشاهسفرم ، نوع من الريحان كان يسمى
الريحان السلطاني والحق الكرماني . واللفظ فارسي معرب « شاه سيرغم » ، وهو
بما عرب قريباً لوقوعه في شعر الأعشى (شفاء الغليل وتاج العروس ٨ : ٣٦١ -
وكتاب المعتمد لابن رسولاً ص ١٧٨ وغير ذلك) .

(٤) المسوح ج مسح . عن ابن سيده كساء مخطط يكون في البيت يستتر به
ويقترش (المخصص ٤ : ٨٠) ولا يخفى أن منسوجات الموصل كانت لها من قدم

ومن حلوان : الرمان والتين والكامخ ^(١) .
ومن أرمينية واذرييجان : اللبود والبراذع والفرش والبسط الرقاق
والتكك والصوف ^(٢) .

باب ما يختار من البزاة والشواهين والبواشق والصقور

وغير ذلك من جوارح الطير

خير البزاة البيض ما يقع بناحية الترك الى جيلان ، ثم السود الغرايبة التي

الزمان شهرة كبيرة في الشرق والغرب حتى أن الامم الافرنجية أطلقت عليها اسم
Mousseline تذكيراً لأصل موردها .

(١) الكامخ ، فارسى معرب وأصله « كامه » ويجمع على كوامخ ، قال الجواليقي
الكامخ الذى يؤتمد به (كتاب العرب) وقال مرتضى وغيره في شرح الكامخ
ومنهم من خصه بالمخللات Hors d'œuvres التى تستعمل لتسهي الطعام (تاج ٢ :
٢٧٦) وكذا شفاء الغليل - أقول والمعنى الأخير هو المقصود هنا ويؤيده ما حكاه
المجاحظ نفسه في البيان والتبيين (ج ٣ ص ١٩١ من طبعة مصر سنة ١٣٢٢) .
(٢) قال ابن حوقل عند ذكره أرمينية واذرييجان ، وبهذه البلاد وفي أضعافها
من التجارات والمجالب وأنواع المطالب من الدواب والأغنام والثياب المجلوبة إلى
النواحي والأقطار ، معروفة لهم ومشهورة كالتكك الأرمينية التى تعمل بسلباس ،
تباع التكة من ديسار إلى عشرة دنانير ولا نظير لها في سائر الأرض . ثم قال
وأكثر ما يخرج إلى بلاد الاسلام من الديباج والبزبون وثياب الكتان الرومى
وثياب الصوف والأكسية الرومية فن اطرايزنده (المسالك والممالك ص ٢٤٦)
- وقال الثعالبي وكان يحمل إلى حضرة السلطان مع خراج أرمينية كل عام - وهو
ثلاثة عشر الف درهم - من البسط المحفورة (؟) ثلاثون بساطاً ومن الرقم
خمسائة وثمانون قطعة ومن البزاة ثلاثون بازياً (ثمار القلوب ٤٢٨) .

بناحية الزنج الى الهند والى اليمن ، ثم الحمر المشرقة ، ثم الديرَج (١) .
وخير الشواهين السود الغراية البحرية ، والبيض الجرجانية .
وكذلك البواشق يستحب منها السود الغراية البحرية ، ثم البيض الهندية ،
ثم الحمر البحرية ، ألحمر البطن والصدر بيكانات (٢) بيض ، المزهرون ، الكبير
الرأس ، الغائر العينين من غير هزال ، العريض المنخرين ، الواسع الصدر مرتفعه ،
اللين الزغب ، الطويل الذنب ، الاخضر الأرجل الذي رجله قريبة من الدستبان (٣)
الثقيل الوزن فاذا بلغ وزنه مائة وثلاثين (٤) فذلك غاية (٥) .

(١) الديرَج ، فارسى معرب ديزه بالكسر ومعناه ذولونين أو هوبين لونين
غير خالص (تاج ٢ : ٤٢) ويروى أيضا ديرج بالراء المهملة (النهاية لابن الأثير
٢ : ٢٢) .

(٢) بيكانات ، فارسى معرب وأصله بيكانه ، ومعناه واحد والمقصود هنا
معلم بنقط بيض .

(٣) الدستبان ، فارسى معرب وهو القفاز من جلد يتخذة الياز في يده عند
ما يلعب أو يصطاد بالطير الجوارح .

(٤) كذا ورد من غير تعيين ، والمظنون انه يقصد مائة وثلاثين درهماً يعنى
نحو أربعائة وعشرة غرامات باعتبار وزن الدرهم الشرعى بثلاثة غرامات وخمسة
عشر سنتيغرام .

(٥) قال القلقشندى : المختار من صفات الشواهين فيما ذكره صاحب المصايد
والمطاردة الأحمر اللون إذا كان عظيم الهامة ، واسع العينين حادهما ، سائل السفتين ،
تام المنسر ، طويل العنق ، رحب الصدر ممتلئ الزور عريض الوسط جليل الفخذين
قصير الساقين ، قريب العقدة من القفا ، طويل الجناحين ، قصير الذنب ، سبط
الكف ، غليظ دائرة الحصر ، قليل الريش لينه ، تام الخواقي . ممتلئ العكوة (صبح
الاعشى ٢ : ٥٨) - وقال أيضاً فى صفة البراة ناقلاً عن الكتاب المتقدم : المختار
من ألوانها الأحمر الأكثر سواداً الغليظ خطوط الصدر والاشهب الشديد الشبهة

وزعموا ان اليؤبؤ^(١) ذكورة الصقور ، والمعفى^(٢) ذكورة البواشق
وذكورة البزاة بمنزلة اليؤبؤ الصغير .

وقالت الفرّس : لا يكاد الفرّس والبازي يكونان حسنى المنظر لا مخبر لهما ، ولا
حسنى المخبر لا منظر لهما ، فان اجتمع المخبر والمنظر كان فائقاً .

باب آخر

كل ثوب من اللباس والفرش اذا كان ألين وأنعم وأسنى كان أرفع ، وكل علق
من الجواهر والأحجار اذا كان أصفى وأضوأفهو أنفس ، وكل حيوان من الوحشية
والأهلية اذا كان أجسم وأطوع فهو آثر وأخبر ، وكل انسان من الشريف والوضيع
اذا كان أعقل وأسهل فهو أجمل ، وكل امرأة حرة أو أمة اذا كانت أكثر سكوناً
وأجمل حالاً وأنزرتعماً وأشكر للناس فهي أصون ، وكل طير من السهلية والجبلية
اذا كان آلف كان آثر ، وكل طارف وتالد اذا كان أزكى وأجل فهو أهناً ، وكل
عدو صغير أو كبير اذا كان حمياً فهو أعدى وأشد حسداً ، ومن لم يعرف مأواه
فحذور قر به ؛

الشبيه بالأبيض ، والأصفر المديج الظهر - ثم قال : ان ذكر البازي يسمى الزرق
(صبح ٢ ص ٥٦ و ٥٧) .

(١) « اليؤبؤ » قال القلقشندي : وتسميه أهل مصر والشام الجلم . هو طائر صغير
أسود اللون يضرب للزرقة وسموه الجلم أخذاً من الجلم وهو المقص تشبيهاً به لأن
له سرعة كسرعة المقص في قطعه (صبح ٢ : ٦١) .

(٢) « العفى » طائر صغير اشتق اسمه من لونه إذ كان يشبه العفص - وورد
في صبح الاعشى اسم العفى « بالفقى » وفي التعليق عليه قال مصححه « العفى » ،
(٣) وكلاهما تحريف والصواب العفى كما هنا للسبب الذى بينا - قال القلقشندي :

هو باز قضيب قليل الصيد ذاهل النفس (صبح ٢ : ٥٧) .

والدول تنتقل والأرزاق مقسومة فاجملوا في الطاب وارحموا المسكين واعطفوا على الضعيف تجاوزوا به وتتابوا ، والقضاء جالب يجلب الأمور، وخير النوم ما يذهب الاعياء والكسل ؛

ومعرفة الأشياء بالحواس الخمس جودة الشيء. بالنظر ان يكون حسناً رائقاً ، وبالخيشوم اذا كان طيباً أرجاً ، وبالمداق اذا كان حلواً عذباً ، وبالسمع أن يكون صافي الوقع والصوت ، وباللمس أن يكون ليناً ناعماً (١) .

وكانت العجم تقول : القلب والبصر شريكان ، والطعم والحس متفقان ، والفطنة والحفظ رفيقان ، والسمع والمنطق مجتمعان .

وخير الناس السهل الطلق الوجه المتواضع ، وفراسه الرجل السوء أن يكون منقبضاً غير منشرح ، وأن يرى لونه الى الصفرة والكهود من غير مرض ، وأن يكون طائش القلب ، وأن يكون للدعابة والمزاح كارهاً له عائباً ، وأن تراه غليظ اللفظ عند المحاورة .

ومن فراسة الرجل الصالح أن تراه سهلاً طلقاً ذا منظر بهي وكلام شهى ، سبط الجبين غير منقبض ولا نزق علق قاق ، وغير كاره للدعابة والمزاح ، يذكر من يذكر بحير لين المحاورة متواضعاً .

وزعم سابور الملك أنه ليس ينبغي للعاقل أن يعتدّ بقول سبعة من الناس: بقول السكران ، والدلال ، والمضحك ، والعليل ، والعراف ، والنمام ، والنساء .

تم الكتاب والله المنة والحمد كما هو اهله

وصلى الله على محمد وآله وسلم

(١) ذكر الجاحظ (الحواس الخمس) غير ما مرة في غضون تأليفه المطبوعة ، قال : هي السمع ، والبصر ، والذوق ، والشم ، والحجسة - ولم يقل اللبس (كتاب الحيوان ج ٣ ص ٨٩) .

تتمة للناشر

رأينا من المناسب أن نثبت هنا فصلاً عقده الرحالة ابن الفقيه الهمداني — وهو قريب من عصر الجاحظ — في (كتاب البلدان) له في « ذكر ما خص الله تعالى كل بلدة بشيء من الأمتعة دون غيرها » — وقصدنا بذلك مقابلة ما كتبه الجاحظ في باب « ما يجلب من البلدان من طرائف السلع والأمتعة وغير ذلك » وهو الوارد فيما مر من رسالته هذه .

قال أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني المعروف بابن الفقيه (١) .

ولولا أن الله عز وجل — خص بلطفه كل بلد من البلدان وأعطى كل إقليم من الأقاليم بشيء منعه غيرهم لبطلت التجارات وذهبت الصناعات ولما تغرب أحد ولا سافر رجل وتركوا التهادي وذهب الشراء والبيع والأخذ والاعطاء ، إلا أن الله عز وجل أعطى كل صقع في كل حين نوعاً من الخيرات ومنع الآخرين ليسافر هذا إلى بلد هذا ، ويستمتع قومٌ بامتعة قومٍ ليعتدل القسم وينتظم التدبير . قال الله عز وجل : « نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً » . وقال الله عز وجل : « وقدّر فيها أقواتها » .

فخص الله — جلّ وعزّ — بلاد « السند » و « الهند » بأنواع الطيب والجواهر كاليواقيت والألماس وغير ذلك من الحجارة الثمينة والسكر كدند والفيل والطاووس والأعواد والعنبر والقرنفل والسنبل والحولنجان والدارصيني والনারجيل

(١) (كتاب البلدان) طبعة ليدن سنة ١٣٠٢ ص ٢٥١ .

والهليج والتوتيا، والقنا والخيزران والبقم والصندل والساج والفلفل وعجائب كثيرة .

وخص أهل « الصين » بالصناعات وأعطاهم ما لم يعط أحداً فلهم الحرير الصيني والغضائر والسرج وغير ذلك من الآلات المحكمة العجيبة الصنعة المتقنة العمل، ولهم أيضاً مسك إلا أنه ليس بجيد، وقالوا إنما يتغير في البحر لطول المسافة . ثم « الروم » وما قد خصها الله عز وجل به من العلوم والآداب والفلسفة والاحكام والهندسة والحدق بالأبنية والمصانع والقلاع والحصون والمطامير وعقد الجسور والقناطر وعمل الكيمياء ، ولهم من الديباج الرومي والبريون ، وفي بلادهم الميعة والمصطكى .

ثم هذه البلاد وما خصت به من الرمي فهم رماة الحدق ولهم الخيل العجيبة والأفراس السابقة ، وفي بلادهم معدن الزبرجد والذهب وزيهم شبيه بزي العرب كأنها قطعة من بلاد اليمن .

ولأهل « المغرب » البغال البربرية والجوارى الأندلسية والنور الزنجية .

ثم ما قد خص به أهل « مصر » من النيل وعجائب ما فيه من السمك والخيل والتامسيح ، ولهم السمك الرعاد والاستقفور ، ولهم الثياب الديبكية والشطوية والقصب الموزون والمسير وغير ذلك من أنواع ثياب السكتان والصوف من الأكية ، ولهم البغال المصرية والحمر المريسية والثياب التنيسية والاسكندرانية .

ولأهل اليمن الحلل اليمنية والثياب السعيدية والعدنية ، وفي بلادهم الورد والكنندر ، ولهم النجائب المهرية والسيوف اليمنية ، وفي بلادهم القرده والنسناس وغير ذلك من أنواع العجائب .

ثم العراق قلب الأرض وخزانة الملك الأعظم وما قد خص الله جلّ

وعلا به أهل الكوفة خاصة من عمل الوشى والخز وغير ذلك من أنواع الفواكه والتور والقسوب ما قد عدم مثله بالبعرة والأهواز و بغداد والحجاز مثل الهيرون والمشان وقسب العنبر والنرسيان ، ولهم الأدهان الطيبة الكثيرة ، ثم قل في عجائب (بغداد) ما شئت التي قد اجتمع فيها ما هو متفرق في جميع الأقاليم من أنواع التجارات والصناعات ، ولهم الذي لا يشركهم فيه أحد الثياب البيض المروية والزجاج المحكم من الأقداح والأقحاف والسكاسات والطاسات والغضائر الحجرية ، ولهم الدارش واللكاء خاصة وفيهما أعجوبة ، وذلك أن الدارش يتخذ من هذا الجانب واللكاء من ذلك الجانب فلو جهد صاحب الدارش أن يتخذ من جانب صاحب اللكاء لأعوزه وكذلك لو جهد صاحب اللكاء أن يتخذ في جانب صاحب الدارش لتعذر عليه ذلك ، على أنهم قد امتحنوا ذلك وجربوه ففسد وتعذر عليهم ، وقد حمل المعتصم بالله صناع القراطيس إلى سر من رأى مع تربتها ومائها وأمرهم باتخاذها هناك فلم يخرج منه إلا الخشن الذي يتكسر ولأهل كورة دجلة والسواد وميسان ودست ميسان من عمل الستور والبسط وعمل الميساني والحري والدرايك والدورنك وغير ذلك من أنواع الفرش والبسط ما ليس لأحد .

ولأهل (البصرة) من النخيل وأنواع التور ما عدم مثله في جميع كور النخيل ، وذكر « الجاحظ » أنهم أحصوا أصناف نخل البصرة دون نخل المدينة ودون مصر واليامة والبحرين وعمان وفارس وكرمان ودون الكوفة وسوادها وخيبر وذواتها والأهواز وما بها أيام المعتصم وإذا ثلاثمائة وستون ضرباً من مغل معروف وخارجي موصوف وبلدع غريب مع طيب عجيب .

ولأهل (الأهواز) أنواع من السكر والتور .

ولاهل (السوس) خاصة (وُجُنْدَيْسَابُور) حذق في اتخاذ أنواع ثياب الحرير والديباج وكذلك لاهل (تستر) .

ثم (الجبل) وعجائبها وما قد أعطوا من الفواكه السرية الكثيرة والزعفران والأقطان واتخاذ طرائف الألبان كاللبن واللوز .

ولأهل (همدان) خاصة حذق باتخاذ المرايا والملاعق والجواهر والطبول المذهبة التي قد فاقوا بها واتخاذها جميع أهل الأرض .

ولأهل (الري) الأطباق المدهنة والحرير وآلات كثيرة يتخذونها من الخشب من الأمشاط وغير ذلك من المالح والمغارف ، ولهم الاكسية البيض الطرازية والطياسة البيض السرية والثياب المنيرة .

ثم بغداد الثانية أعنى (اصبهان) وما أعطى أهلها من طيب الهواء وعضوبة الماء والحذق بأنواع الصناعات ، فلهم الثياب المروية والعتايب والملاحم العجيبة والحلل الابريسمية المنسوجة وغير المنسوجة والثياب السعيدية .

(ولفارص) فضل في اتخاذ الآلات الظريفة المحكمة من الحديد حتى لقد قال بعض الحكماء لما وقف على أشياء ظريفة عند بعض الملوك من آلات فارس : لقد ألان الله عز وجل لهؤلاء القوم الحديد وسخره لهم حتى عملوا منه ما أرادوا ، فهم أحذق الأمة بالجوامع والأقفال والمرايا وتطبيع السيوف والدروع والجواشن ، ولهم الثياب الجبائية والسينيزية ، ولهم الماورد الجورى والطين السيرافى والاكسية الفسوية والأذهان السابورية والثياب الكارزونية .

ولأهل (سجستان) عمل المشارب السجزية والكيزان وآلات كثيرة من الشبه والصغر .

ولأهل (طبرستان) و (الديلم) و (قزوین) حظ من عمل الاكسية الروانپة

والأُمْلِيَّةُ وأَمْخَاذُ السَّتَانِكِ والمُنَادِيلُ وأشياءُ كثيرةٌ من أنواعِ ثيابِ القطنِ والصوفِ
والإبريسمِ والكتانِ .

ولاهل (جرجان) من الإبريسم ما ليس عند غيرهم ومنها يحمل إلى جميع
البدان ، ولهم حذق بأَمْخَاذِ الدِيَبَاجِ والمَقَانِعِ والثِيَابِ والسُّتُورِ وغير ذلك .

ولاهل (نيسابور) الثياب المَلْحَمَةُ والطَاهِرِيَّةُ ، ولهم التَاخْتِجُ والرَاخْتِجُ وليس
هذا إلاَّ لهم .

ولاهل (مَرَوَ) الثياب المَرْزُويَّةُ والمَلْحَمُ الفَائِقَةُ التي هي اعلى الملاحم .
(وبخراسان) فواكه كثيرة سَريَّةٌ وأَعْنَابٌ طَيِّبَةٌ ، ولهم الزَّيْبُ الكُشْمَهَانِي
والكُشْمَشُ وبَطِيحٌ يقدِّدُ ، وقد كان فيما مضى يحمل بطيخها الى الخلفاء في
قدور نحاس لشدة حلاوتها ولنتها وطيبها (كذا بالأصل) ، ولهم الاَشْتِرْغَازُ
والانْجُذَانُ والغُوشَنَةُ والكَيْلِكَانُ والرَّخْبِينُ والمَلْبِنُ ، وبها معدن الفيروزج
واللازورد والرُّكْبُ المَرْوِيَّةُ والثياب السمرقندية ، ولهم الاَشْكَنُ والخَلنجُ وبها
الْحُتُّوُّ .

(وبالترك) السَّمُورُ والفَنْكُ .

(وبالْتُبَّتْ) المَسْكُ التُّبِّيُّ والدَّرَقُ التَّبْتِيَّةُ .

فَسَبْحَانُ من أعطي كلَّ بلدٍ نوعاً من الخيرات ، وجنسا من الصناعات ، وتبارك
اللهُ أحسنُ الخالقين .

فهرس التبصر



صفحة

- ٣ توطئة : بقلم الناشر
- ٩ متن التبصر
- ٩ آراء المتقدمين في الحث على التكسب بالتجارة
- ١٠ باب معرفة الذهب والفضة وامتحنهما
- ١١ باب ما يعتبر من الجواهر النفيسة ومعرفتها وقيمتها
- ١٦ باب معرفة الطيب والعطر والروائح الطيبة
- ١٩ باب معرفة الثياب وما يستجد منها
- ٢٥ باب ما يجلب من البلدان من طرائف السلع والأمتعة والجواري والأحجار وغير ذلك
- ٣٤ باب ما يختار من البزاة والشواهين والبواشق والصقور وغير ذلك من الجوارح
- ٣٦ باب آخر
- ٣٨ ملحق : (فيه تمة للناشر) في ذكر ما خص الله تعالى كل بلدة بشيء من الأمتعة دون غيرها - منقول عن ابن الفقيه الهمداني

